

عشر سنوات على سرقة الآثار العراقية

أروفته يتابع يومياً، لكن ببطء شديد. فخلال السنوات العشر الماضية، لم تنجز أي عملية عرض للقطع، ولا حتى جردة للمخازن. واجهت المتحف التي تُعدّ من معالم بغداد تتعرض اليوم لعملية «تطوير» تهدف إلى استبدالها بنسخة عن بوابة عشتار. لكن الوضع في المواقع إلى تحسن... ببطء

قبل 10 سنوات، دخل مجهولون إلى متحف العراق الوطني أو متحف بغداد، وسرقوا قسماً كبيراً من محتوياته. فتحو ابواب المخازن، وأخذوا مجموعة الأختام الأسطوانية وهربوا تاركين ابواب القاعات ومكاتب الهيئة العامة للآثار والسياحة مشرّعة، ابواب المتحف العراقي لا تزال مغلقة أمام الزوار، والعمل في

لم ينجز بعد إلا أرشفة 40.000 قطعة من أصل مجموعة تتجاوز الـ 250.000

ارتفعت الميزانية للمتاحف والتنقيبات، وارتفعت الرواتب وبدات عملية توظيف جديدة



البناء الحالي
مدخل متحف
بغداد سيكون
من الباطون
بدل الطين
المجفف
(أ ف ب)

متحف بغداد لم ينفذ آثار الغزو

العمال ينجزون التصميم الجديد لأحد أهم معالم العاصمة: نسخة طبق الأصل عن بوابة عشتار التي كانت تزين مدخل مدينة بابل. فالمصمم قرر أن يعيد إلى بغداد نسخة عن البوابة الزرقاء المزينة بمنحوتات لحيوانات، التي تعرض اليوم في متحف برلين. ولكن المشروع يُعدّ من وجهة نظر المهندسين والآثار تشويهاً لأحد أهم معالم العاصمة. وتقول لمياء الكيلاني «إنّ مدخل متحف بغداد صمّم عام 1936 وأنجز في 1950، ويقوم على احترام تقنيات البناء منذ الفترة البابلية. فلم يستعمل في البناء إلا الطين المجفف، في حين أن البناء الحالي سيكون من الباطون، وهو سبب التصميم، ويشبه إلى حدّ كبير تصاميم عالم ديزني المزيفة». والمتحف من أقدم معالم العراق المعاصر، بات مدخله جزءاً من هوية المدينة، وتعديله يُعدّ من المساس بها، وصمدت الوجهة في وجه كل المتغيرات والحروب... إلا إن أزلتها الحداثة الرخيصة.

شمعة دوني يوحنا للتراث

سنة 2007 أطلق مدير المتحف العراقي السابق، الراحل دوني جورج يوحنا، مبادرة «شمعة لمتحف بغداد» بالتعاون مع منظمة SAFE (حماية الآثار للجميع) الأميركية. ولاقت المبادرة تفاعلاً كبيراً في الأوساط المختصة والجامعية. فعلى مدى 24 ساعة أضيئت الشموع في العالم أجمع. فقزرت الجمعية إحياء ذكرى سرقة متحف بغداد بتثبيت هذا التقليد سنوياً. لكن وفاة الدكتور دوني في كندا قلبت المقاييس. فالمبادرة باتت بهدفين: الأول لتذكر مأساة متحف بغداد، والثاني لإبقاء ذكرى دوني حيّة بعد كل الجهد الذي قام به لإنقاذ المتحف وأثار بلاده. فبعدما أجبرته منظمات إسلامية على مغادرة العراق بعد تهديدهم بقتل أولاده، التحق دوني بجامعة «ستوني بروك» الأميركية وبقي يناضل لإعادة القطع الأثرية المسروقة إلى العراق. وتكريماً له، حولت المنظمة مبادرة شمعة متحف بغداد إلى شمعة لدوني جورج.

خطوات تحت على ديناميكية أعلى، لكنها لم تحصل. كيلاني تبرز ذلك بأن «المشكلة تكمن في أن المتخرجين الجدد درسوا في فترات الحروب التي اتسم فيها العلم في العراق بتدني المستوى العلمي. فالقسم الأكبر من الموظفين يتقنون العربية فقط، ما يجعلهم غير قادرين على متابعة ما يجري في عالم المتاحف والآثار من تطور وتغيّر، وغير قادرين على إقامة أبحاث ومتابعة دراسات عالمية». ويؤكد علماء آثار آخرون أنّ الوزراء يحاربون قسماً من العلماء العراقيين الذين يدرسون في الجامعات الأميركية والبريطانية، بحجة أنها معازل الاحتلال.

تأهيل مدخل المتحف

الورشة قائمة على مدخل متحف بغداد.

من ناحية ثانية، انتهى العمل في المخازن، وباتت مكاتبها وخزائنها الحديثة جداً تنتظر التحف. يتساءل بعض العلماء عن أسباب بطء العمل، وفيما يحاول عدد منهم أن ينفقهم الوضع، يبرز أنّ الهيئة العامة للآثار والمتاحف كانت في السنوات الماضية تتأرجح بين وزارتين: الثقافة والسياحة. ففي حين أنها قانونياً تتبع الأولى، ولكنها في التوزيعات الوزارية ألحقت بالسياحة، ما أدى إلى فوضى إدارية. هذا بالإضافة إلى الميزانية السنوية التي لم تكن تحترم، فتعطي الهيئة 20% مما تطلب، لكن الوضع تغير أخيراً، إذ أنشئت وزارة السياحة والآثار، وارتفعت السنوية للمتاحف والتنقيبات، وارتفعت الرواتب وبدات عملية توظيف جديدة.

المتحف مبدأ افتتاح قاعاته لمناسبات سياسية فقط. ففي سنة 2003 افتتحت القاعات لساعات معدودة ليطمئن الحاكم الأميركي إلى كثر نمود، وفي سنة 2009 افتتح ليوم واحد فقط، وذلك لاستقبال رئيس الحكومة. صحيح أنّ الوضع الأمسي لا يسمح بالمجازفة، لكن الكيلاني تؤكد «أنّ العمل بطيء لدرجة يصعب فهمها. فالقاعات مثلاً يجري تأهيلها مجدداً بحجة تغير طريقة العرض، واليوم يعاد العمل بالقاعة السومرية التي كانت قد أنجزت قبل سنين، عودة إلى نقطة الصفر. أما بالنسبة إلى لائحة جرد القطع الأثرية، فالعمل جار فيها منذ أربع سنوات، ولم ينجز بعد إلا أرشفة 40,000 قطعة من أصل مجموعة تتجاوز الـ 250,000. لكن

جوان فرسخ بجالي

دبت الفوضى في بغداد منذ عشر سنوات. بدأت عمليات النهب لتشمل المتحف الوطني والوزارات. حلت المأساة لتضاف إلى بشاعة الحرب، فكان الخبر فاجعة على العراقيين ونقطة سوداء لا تغتفر للاميركيين. استعجل الرئيس الأميركي آنذاك، جورج بوش، فريقاً من الـ F.B.I للتحقيق بسرقة المتحف. مزّت عشر سنوات ولم تنشر بعد نتائج التحقيق للعراقيين، رغم أنّ المسؤول عن القضية، المدعي العام السابق والكولونيل في الجيش ماثيو بوغدانوس، نشر كتاباً عن مهمته في بغداد وجمال في محاضرات على العالم أجمع لإشراك الجماهير قصته الهوليوودية، فكاد أن يصبح إنديانا جونز جديداً! رغم كل ذلك، لم يقف يوماً وزير أو مسؤول عراقي ليشرح نتائج التحقيقات. وبقي الغموض يلف القضية. من هم هؤلاء السارقون المحترفون، وكيف دخلوا المتحف، وكيف عثروا على مفاتيح المخازن، وأين بيعت هذه القطع، وما هي الكمية الفعلية؟ أسئلة بقيت دون أجوبة. عالمة الآثار العراقية المخضرمة والمقيمة في لندن، الدكتور لمياء الكيلاني، تشرح أنّ الوضع اليوم في المتحف العراقي في تقدّم بطيء جداً. فخلال زيارتها بغداد في الأسابيع الماضية، جالت على القاعات التي لا تزال مغلقة، وتقول بتأثر كبير: «المتحف غير جاهز لاستقبال الزائرين؛ فالقطع الصغيرة غير معروضة، وبطاقات التعريف غير موجودة، بالفعل، لقد أنجز الفريق الإيطالي من مركز «سكافي» في تورينو القاعات الإسلامية، ويعمل اليوم على إعادة تأهيل القاعة الآشورية، التي ستكون رائعة».

ويشير البروفسور ماغواير غيبسون من جامعة شيكاغو إلى أنّ «المتحف قد جهز بكافة الآلات الضرورية للتحكم بالحرارة داخل جدرانها، وأعيد تصميم جهاز الإضاءة، لكن يبدو أنّ عملية الافتتاح موقّنة وتختصر بالاحتفالات السياسية الكبرى». فمنذ اندلاع حرب الخليج الأولى والثانية، وخلال الاحتلال الأميركي، اتبع

المواقع الأثرية... و«حصّة» كردستان

جنوب العراق، كل منها تعمل على موقع سومري صغير. وبالطبع هناك بعثات التنقيب الأثرية العراقية التي تعمل في أكثر الأحيان على المواقع المهتدة بالسرقات أو عمليات التوسع. ويأتي إقليم كردستان ليكون الرابع الأكبر من هذه الأزمنة. فالوضع الأمني فيه مستتب، ومكاتب الهيئة العامة للآثار (التي انفصلت عن بغداد) شرّعت أبوابها أمام البعثات الدولية وسهّلت عملهم، فتحوّل الفرق إلى كردستان، حيث تنقب اليوم 38 بعثة أثرية دولية، لم تتأخر مكتشفاتها في إعطاء متاحف الإقليم نفحة جديدة.

على صعيد المواقع الأثرية، يقول البروفسور غيبسون، الذي يُعدّ مرجعاً عالمياً في مراقبة وضع المواقع الأثرية العراقية، إنّ «المشكلة الأكبر تكمن في المشاريع الإنمائية، والبناء العشوائي وتوسع الأراضي الزراعية». أما بالنسبة إلى السرقة، فيؤكد غيبسون «أنّها مستمرة ولكن بمستويات أقل مما كانت عليه». ولواجهة كل هذا الواقع، يعول العراق على عودة الحفريات الأثرية العلمية مع الجامعات الغربية. البعثات ما زالت قليلة، وتتكلم بشكل أولي على المبادرة الفردية للأساتذة. هناك بعثة أميركية وأخرى بريطانية وأخرى إيطالية في

